ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356



# الوسطية بين الاعتماد على السنن الكونية وبين طلاقة المشيئة الإلهية

**م. د. عصام قاسم رشيد**

**مديرية الرصافة الثانية**

**07722537914 /**

## Moderation between reliance on cosmic laws and divine will

dr.e.qassim68@gmail.com/

M. Dr.. Issam Qasim Rashid,

Al-Rusafa Second District

07722537914

**تاريخ إرسال البحث: 10 / 2 / 2025** **تاريخ قبول البحث: 20 / 3 / 2025**

**الملخص:**

إن خاصية العدل الإلهي تتضمن الوسطية والتوازن، فقد منَّ الله علينا أن جعلنا أمة وسطا بين الأمم, قال تعالى: ﴿وكذالك جعلناكم أمة وسطا﴾[البَقَرَة: ١٤٣], فالوسطية من أهم سمات هذه الأمة، ولا غرابة في ذلك كون هذا التشريع من الله عز وجل كان صدوره, وبذلك كان كاملا شاملا متوازنا سابقا لكل الدساتير التي وضعها البشر, قال تعالى: ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾[النساء: ٨٢] ،وقد شملت الوسطية الأحكام كافة.. العقائدية والعملية والأخلاقية، ومن تلك المفاهيم: [الوسطية بين الاعتماد على السنن الكونية وبين طلاقة المشيئة الإلهية].

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356



**الكلمات المفتاحية:**

**الوسطية:** " التوازن والعدل والقيام بالحق، والبينية بين الإفراط والتفريط".

**السنن الكونية:** (سنن الله وقوانينه ونواميسه التي يدبر على مقتضاها الكون والحياة)(1)، قال تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ [يس : ٣٨ - ٤٠] ، فهي الطبيعة الكونية العامة، من تعاقب الليل والنهار، وكون الثلج بارد والنار محرقة.

**المشيئة الإلهية:** "تجلي الذات والعناية السابقة لإيجاد المعدوم أو إعدام الموجود".

**summary:**
The characteristic of divine justice includes moderation and balance. God has blessed us by making us a middle nation among the nations. God Almighty said: {We have chosen you, to be among the nations} Moderation is the most prominent feature of the nation. nation, and there is no surprise in that, since this legislation It was issued by God Almighty, and what was issued by Him Almighty is complete, comprehensive, balanced, and precedes all constitutions established by humans and moderation includes all rulings... doctrinal, practical, and moral. Among those concepts: [Moderation between reliance on cosmic laws and the freedom of divine will]

Keywords:
Moderation: “balance, justice, doing what is right, and the middle ground between excess and deficiency.”

Cosmic laws: (God’s laws, statutes, and regulations by which He governs the universe and life) ( ), God Almighty said: {It is not for the sun to overtake the moon, nor does the night outstrip the day} (Yasin: 40).

Divine Will: “The manifestation of the Self and the previous providence for the creation of the non-existent or the annihilation of the existing.”

1 - ينظر: السنن الإلهية في السيرة النبوية(46)، حركة التاريخ في القرآن الكريم(226).

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356



**مقدمة:**

أحببت أن أقف في هذا المقال على موضوع مهم وهو التوسط بين العمل بالسنن الكونية والإيمان بتدخل المشيئة الإلهية, فإنها من الأمور المهمة في حياة الإنسان أن يتوازن في أفعاله ومعتقداته, فإن لله سبحانه وتعالى سنن لا تتبدل ولا تتغير وأن معرفة خاصية العدل الإلهي وفهم التوسط والتوازن في أحكام التشريع الرباني تبعث الطمأنينة والثبات في نفسية الإنسان وشخصيته وأفعاله، وخاصة إذا نظرنا إلى المناهج البشرية المضطربة, فقوله عز وجل: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾( البقرة/143), أي: "عدلا وخيارا, والذي غير الوسط فهي أطراف داخل تحت الخطر، فهذه الأمة جعلها وسطا في كل أمور دينها"(1), فالتوسط يتحقق بكل الأبعاد، فهو بمعنى الاعتدال والقصد، أو بمعناه المادي الحسي أو التصور والاعتقاد, فلا غلو في التجرد الروحي, ولا الارتكاس المادي, إنما تمازج وتداخل وتوافق الروح مع الجسد, وتعطى لهذا الكيان [المزدوج الطاقات] حقه المتكامل, فللجسد زاد وللروح زاد, وبهذا التوافق تستقيم حياة البشر وترتقي وتتناسق, قال صلى الله عليه وآله: **"إن.الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"**(2), وفي رواية أخرى: "**جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي – صلوات ربي عليه وآله – يسألون عن.عبادته – صلوات ربي عليه وآله –، فلمت أخبروا، كأنهم تقالوها... الحديث**(3)"، **فمنهم من قال أنه يصلي ليله أبد وقال الآخر أن يصوم دهره،وأما الآخر فقال أنه لايزوج النساء، فأجابهم الرحمة المهداة صلوت ربي عليه: ( وإني لأخشاكم وأتقاكم له) – لما جمع الله له من علم اليقين مع المعرفة القلبية واستحضار العظمة الإلهية ما لم يجتمع لأحد سواه وأراد ردّ ما بنى عليه القوم أمرهم حيث أعلمهم أنه مع كونه بالغاً في الخشية أعلاها وفي العبادة منتهاها لم يفعل ما أرادوا فعله–** (4).، فقال: "فمن رغب عن سنتي فليس مني", ومن صور التوازن ... [التوازن بين الاعتماد على السنن الكونية وبين طلاقة المشيئة الإلهية], فكان الناس في ذلك طرفان ووسط.

---

1- ينظر: تفسير النكت والعيون للماوردي(199/1)، تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي(70/1).

2- رواه : البخاري في صحيحه (16/1).

3 - المصدر السابق(2/7).

4 – ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي الشافعي(ت: 1057هـ)،(387/2) نشره: المعرفة للتوزيع والنشر –لبنان، ط/4، 1425 م.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356



**الطرف الأول**: من قصر نظره على ثبات السنن الكونية، وهي النواميس الحاكمة في الطبيعة وفي العالم المادي وفي نظام الكون, قال تعالى: ﴿وخلق كل شيئ فقدره تقديرا﴾ [ الفرقان/2], وقال تعالى: ﴿وآيةلهم اليل نسلخ منه النهارفإذا هم مظلمون﴾ [يس/37]، واعتمد على ذلك اعتمادا كليا دون أن ينظر إلى المشيئة الإلهية وغفل عن أن الله عز وجل الذي أوجد نظام الكون وسننه وجعلها تتسم بالاطراد والحسم فهو بقدرته خارق لهذه السنن متى أراد ؛ لأنه فعال لما يريد والقادر على كل شيء وهذا الطرف مثل من أفرط في فعل الأسباب وتعلق بها؛ لكن الأسباب موقوفة على تحقق الشروط وانتفاء الموانع، وهذا يقتضي تدخل المشيئة الإلهية، فتوفير كل أسباب الزراعة وتحقيق الشروط لابد له من انتفاء الموانع لكي ينبت الزرع، فغرس البذرة سببا وسقي الماء شرطا وكثرة المطر مثلا قد يمنع من إنبات الزرع، وهذه هي المشيئة الإلهية قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥأَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ لَوْنَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[الوَاقِعَة : ٦٣ - ٦٥] ، وقال تعالى: ﴿ وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدايِقَ ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أَإِلَٰهٌ مع الله بل هم قوم يعدلون﴾[النَّمْل : ٦٠].

**الطرف الثاني**: من نظر الى طلاقة المشية الإلهية ولم يعتبر بثبات السنن الكونية وترتب النتائج على الأسباب فأفرط في نظرته لطلاقة المشية الإلهية مما جعله يفرط في عدم الأخذ بالأسباب والانتفاع من السنن الكونية، بل اعتمد على الخوارق دون أن يبذل الجهد والعمل، زاعما أنه متوكل على الله تعالى, فهذا من التواكل وهو أن يترك الإنسان الأسباب ويتقاعس عما أمره الله به، قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ (الأنفال/69), وقال تعالى: ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾[المُلْك : ١٥] ، وقال تعالى: ﴿وأعدوا لهم مَّا استطعْتُم من قوَّةٍ ومِن رِّباط الخيْلِ ترهبُونَ بهِۦ عدو اللَّهِ وعدوَّكُمْ﴾ [الأَنفَال : ٦٠] ، قَال رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قال: "اعقلها وتوكل" (1)، وأَنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله أمر من كان يسأل الناس أن يأخذ فأسه ويحتطب ([2]) وإرشاده صلى الله عليه وآله للرجل ينافي التقاعس والتواكل.

## الوسط بين الأمرين:

هو النظر إلى ثبات السنن الكونية والعمل تحت ظلها وبذل الأسباب الممكنة وأن الكون قد بني على تلك السنن قال تعالى: ﴿ إن ربكمُ اللـه الذي خلـقَ السـمٰوٰتِ والأرْضَ فى ستة أيامٍ﴾ [يُونُس : ٣] فقد سن الله سنة الوقت لإنجاز أي أمر من أمور الكون فقد أنشأه في ستة أيام رغم أن أمره بين الكاف والنون قال تعالى: ﴿إنـما أَمـرُهٗۤ إذا أراد شـيـئًا أَن يـقولَ لَهٗ كـن فَيَكُـون﴾ [يس : ٨٢] ولكن دون التعلق بتلك السنن وننسى أن الله عز وجل هوالذي أوجدها وهو القادرعلى خرقها لمن يريد متى شاء للذي بذل الأسباب واستنفذ ما في وسعه من العمل وجاهد واجتهد كما هي حاله صلى الله عليه وآله ومن معه من صحبه الكرام حيث بذلوا الجهد والعمل في سبيل الله عز وجل واستحقوا أن ينصرهم الله عزوجل بنصر من لدنه ويخرق لهم بعض ما سنه في ملكوته ما يظن الناس أن تلك السنن قوانين لازمة لا تخرق، قال تعالى: ﴿ إذ تسـتغيثون ربـكـم فـاسـتـجاب لـكـمْ أنـى مـمـدكـم ِبألـف مـن الملائـكـة مـردفيـن وماجـعلهٗاللـه إلا بشرى ولتطـمـئـن بـه قـلـوبكـم وما النصـر إلا مـن عنـد الـله إن ٱللـه عـزيـزٌحكيم ﴾[ الأَنفَال : ٩ - ١٠]وفقد ذكر القرآن الكريم في عدة مواضع أن الله جل وعلى أن سننه ثابتة، وهي قوانين تضبط حركات الناس وأعمالهم ويكيفون حياتهم وفقها, قال تعالى: ﴿فـلـن تـجـد لسـنـت الـلـه تـبديـلا ولـن تـجـد لسـنت الله تـحويـلا ﴾ [فَاطِر : ٤٣] ، وفي مواطن أخرى من القرآن يذكرالله سبحانه أنه فعال لما يريد وإنه متى يشاء خرق تلك السنن، قال عزو جل:

1 - رواه : ابن حبان في صحيحه(510/2)

2- رواه البخاري في صحيحه(123/2).

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356



﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النَّحل : ٤٠], وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ والأرض وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فيكون﴾ [البَقَرَة : ١١٧], وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مَرْيَم : ٨ - ٩] ، فسنة الهرم وسنة العقم من سنن الله في خلقه؛ لكن من خلقها قادر على خرقها،فقوله تعالى:﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مَريمَ:٢٠-٢١],

وقوله.تعالى:﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأَنبِيَاء : ٦٨ - ٦٩], وغيرها من الآيات التي تقررنفوذ مشيئة الله عزوجل وعدم تقييدها بقيد (من السنن الكونية) مما يحسبه الناس قانون لازما لا فكاك منه, لأن من وضع السنن الكونية قادرعلى خرقها.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356



**المصادر:**

**القرآن الكريم**

1- النكت والعيون لعلي بن محمد الماوردي (ت 450هـ)، نشره: دارالكتب العلمية – لبنان – ط/1

2- تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي نشره: مؤسسة الرسالة ط/1 (2000م).

3 – صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، نشره: دار طوق النجاة، ط/ 1( 1422هـ).

4 – صحيح ابن حبان، لأبي حاتم، محمد بن حبان التميمي، (ت: 354هـ)، : مؤسسة الرسالة – لبنان ط/2، 1993م

5- السنن الإلهية في السيرة النبوية للدكتور أبو اليسر رشيد كهوس ، نشره دار الكتب العلمية بيروت (ط/1)

6 – حركة التاريخ في القرآن الكريم لعامر الكفيشي، نشره: دار الهادي للطباعة والنشر – بيروت(ط/1)